موقف جامعة الدول العربية من أزمة العلاقات السياسية المصرية – التونسية (11-15 تشرين الأول عام 1958) في ضوء منشورات جريدة الأهرام المصرية

أ.د. صالح جعيول جويعد السراي م.د. فاطمة فالح جاسم الخفاجي
جامعة ذي قار/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم التاريخ

ملخص البحث:

عقد مجلس جامعة الدول العربية في الحادي عشر من تشرين الأول عام1958 جلسة علنية لاستقبال الوفد التونسي، والترحيب به بمناسبة انضمام تونس إلى عضوية جامعة الدول العربية ، إلا أن الغريب في الأمر ما حدث في جلسة الافتتاح عند قيام الحبيب الشطي رئيس وفد الجمهورية التونسية وسفيرها في بيروت بمهاجمة الجمهورية العربية المتحدة داخل قاعة الاجتماع وذلك بتوجيه من الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة، مما أدى إلى حدوث أزمة في العلاقات السياسية بين الجمهورية العربية المتحدة وتونس بعد انسحاب وفد الأولى من اجتماع مجلس الجامعة رداً على موقف ممثل تونس في خطابه الأول في المجلس، وما طالب به من العدل والمساواة في المعاملة بين جميع الدول الأعضاء.

وقد كان لهذه الأزمة رد فعل سريع داخل جامعة الدول العربية وندد أعضاءها بموقف الحكومة التونسية هذا، إذ واصل رؤساء وفود الدول العربية بالجامعة مشاوراتهم فيما يخص هذه الأزمة ، وأعربوا عن استيائهم واستنكارهم الشديد لموقف تونس المخالف للأعراف والتقاليد الدبلوماسية ،فضلاً عن أنها المرة الأولى في تاريخ جامعة الدول العربية التي يهاجم فيها مندوب إحدى الدول دولة شقيقة في أول جلسة علنية للترحيب بها،وطالب بعض الأعضاء بإصدار قرار يندد بتونس على موقفها ، مما حدا بها إلى أن قررت عدم الاشتراك في اجتماعات الجامعة ،مطالبة بإزالة الخلاف الذي وقع بين الطرفين، وبعد تشدد الجمهورية العربية المتحدة في موقفها الرافض لإزالة الخلاف وتشدد الطرف الآخر كذلك، وصل الأمر بين الاثنين إلى قطع العلاقات الدبلوماسية.

Abstract

In 11 October1958, the Council of the League of Arab States held public hearing to receive the Tunisian delegation, on the occasion of joining the League of Arab States. The odd thing that happened in this session, that Habib Al-Shati the chairman of the Tunisian delegation and its Ambassador, has been attacked from inside the hall the United Arab Republic, it was directed by Habib Bourguiba the Tunisian President, this led to a crisis in political relations between Tunisia and the United Arab Republic after the withdrawal of the delegation of the United Arab Republic from the meeting

in response to the position of representative of Tunisia that he had asked in his first speech, to achieve justice and equality of all member states.

Result of this crisis, a quick reaction by the League of Arab States, all members of the League of Arab States condemned this act of the Tunisian government. Heads of delegations of the Arab States continued to discuss the crisis; they expressed their displeasure, because it is outside the diplomatic norms and traditions. In addition to that this is happening for the first time in the history of the Arab League, that a representative of a new state of the Arab League to attack another country in an open session. Some members have called for issuing a resolution condemning the position of Tunisia. The Tunisian government has taken a decision not to participate in the Arab League meetings and removal of the dispute between two parties, United Arab Republic rejected this proposal, so it came between the parties to break off diplomatic relations, as a result of stresses parties.

المقدمة

تتابع هذه الدراسة " موقف جامعة الدول العربية من أزمة العلاقات السياسية المصرية – التونسية 11-15 تشرين الأول عام 1958 " التي بدأت عندما هاجم مندوب تونس الجمهورية العربية المتحدة في جلسة الحادي عشر من تشرين الأول عام 1958، فكان لهذه الأزمة رد فعل سريع داخل مجلس جامعة الدول العربية التي نددت بموقف الحكومة التونسية، إذ واصل رؤساء وفود الدول العربية بالجامعة مشاوراتهم بخصوص هذه الأزمة ، فأعربوا عن استيائهم واستنكارهم الشديد لموقف تونس المخالف للأعراف والتقاليد الدبلوماسية،وطالب بعض الأعضاء بإصدار قرار يندد بتونس على موقفها ، ووصفوا أن الغرض من انضمام حكومة تونس للجامعة العربية هو هدم هذه المؤسسة .

ومن هذا المنطلق هدفت الدراسة إلى معرفة مواقف أعضاء مجلس الجامعة من هذه الأزمة ، ناهيك عن تفسير الملابسات التي أحاطت بتطور العلاقات بين الجمهورية العربية المتحدة وسائر الدول العربية الأعضاء في الجامعة .

اعتمدت الدراسة على مجموعة من الوثائق والكتب والصحافة ، فكان لصحيفة الأهرام المصرية دور لا يستهان به في إغناء الدراسة بالمعلومات كونها كانت تتابع الأحداث يوميًّاً ،فقد زودت البحث بمعلومات كثيرة ومهمة، إذ كانت تعرض الأحداث التي مرت بها مصر ضمن الحقبة المعدّة للدراسة بشكل مفصل ومتواصل من خلال معرفة الموقف المصري الرسمي إزاء تونس .

موقف جامعة الدول العربية من أزمة العلاقات السياسية المصرية – التونسية

(11-15 تشرين الأول عام 1958)

في ضوء منشورات جريدة الأهرام المصرية

عقد مجلس جامعة الدول العربية[1] في الحادي عشر من تشرين الأول عام1958 جلسة علنية لاستقبال الوفد التونسي[2] ،والترحيب به بمناسبة انضمام تونس إلى عضوية جامعة الدول العربية[3] ،وقد حدث في جلسة الافتتاح التي كانت مكرسة لاستقبال الوفد، والتي كان من المفترض أن تتحدث عن التضامن العربي والتعاون والود بين الدول الشقيقة، وقف الحبيب الشطي[4] مندوب تونس ، وكان في الوقت نفسه سفيراً لبلاده في لبنان ، وقف قائلاً إنه سوف يتلو بياناً بأمر من الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة[5] ، وتلاه مكتوباً ، وكان من بين ما قاله"إن الجامعة أصبحت ذات اتجاه واحد وتعمل لصالح شق واحد وتأتمر بأوامر عضو واحد"[6]، مستطرداً إلى القول إنه" يجب اجتناب وقوع أحد أعضائها في حب الهيمنة والاستبداد بالرأي"[7].

ويبدو أن هدف حكومة تونس من هذا التصرف كان لاعتقاد بورقيبة أن الرئيس المصري عبد الناصر كان يسعى لفرض سيطرته على جميع الدول العربية، مما أدى إلى ظهور أزمة في العلاقات بين الجمهورية العربية المتحدة وتونس بعد انسحاب وفد الأولى من اجتماع مجلس الجامعة جواباً على موقف ممثل تونس في خطابه الأول في المجلس ،وما طالب به من العدل والمساواة في المعاملة بين جميع الدول الأعضاء.

وكانت جريدة الأهرام قد ذكرت أن أشد ما في المسألة هو الأسلوب بل الألفاظ التي استعملها رئيس وفد تونس في خطابه تشابه إن لم تتطابق تماماً مع جميع ما كانت ترددة الصحف ووكالات الأنباء الأجنبية ذات الاتجاهات الخاصة، إذ ردد رئيس وفد تونس جميع الاتهامات التي وجهت للجمهورية العربية المتحدة في الصحف الأمريكية والصحف البريطانية[8].

وعلى أثر إلقاء هذه الكلمة من قبل رئيس وفد تونس لم يسع وفد الجمهورية العربية المتحدة الإ أن يرد على هذا الموضوع المفاجئ ، وهنا وقف عبد الحميد غالب رئيس وفد الجمهورية العربية المتحدة وألقى كلمة استنكر فيها ما قاله رئيس الوفد التونسي ، وأضاف "إننا نرفض ما تردد في جوانب هذه القاعة هذا الصباح موجّهاً إلى الجمهورية العربية المتحدة وهذه الصراحة التي درجنا عليها، إننا نرفض هذا، ونشعر بأنه لا يبشر بالخير، إن ما سمعناه اليوم يبعث على الاعتقاد بأن جامعة الدول العربية أصبحت أو أوشكت أن تكون أداة للهدم لا للبناء، ولتفريق الكلمة لا لجمعها، وحتى لا يشعر السيد رئيس وفد الجمهورية التونسية الشقيقة بأي اتجاه أو حب للهيمنة، أو الاستبداد بالرأي، فأن وفد الجمهورية العربية لا يسعه إلا الانسحاب من هذا الاجتماع"[9].الإ أن المندوب التونسي لم يترك مجالاً للشك في أنه يقصد بكلامه هذا الجمهورية العربية المتحدة، فعلى أثر انسحاب وفد الأخيرة ألقى الحبيب الشطي بياناً آخر أوضح فيه أنه لم يتعرض للجمهورية العربية المتحدة في كلمته ، وأن انسحاب الوفد يؤكد رغبته في تجنب مناقشة ما سيقال بشأنه[10].

أثار خطاب رئيس الوفد التونسي رؤساء الوفود العربية وطالبوه بالاعتذار إلا أنه رفض ، وأخبرهم بأنه لا يستطيع ذلك لأنه ألقى خطابه بناءً على تعليمات وردت إليه من حكومته في تونس ، وأن نص الخطاب مرسل إليه من بورقيبة نفسه [11].

وعلى أثر ذلك انتقدت الوفود العربية مسلك تونس وأشادت بفضل الجمهورية العربية المتحدة ، فقد صرح فائق السامرائي[12] رئيس وفد الجمهورية العراقية قائلاً :"إن أحرار تونس والمغرب وجدوا العون في القاهرة كما وجدته جميع الأحزاب المناضلة في أرجاء العالم العربي ومن بينها الحزب الذي

يرأسه الرئيس الحبيب بورقيبة الذي لقي في القاهرة من العون والتأييد ما استطاع بهما مواصلة الكفاح في تونس" [13] واستطرد قائلاً :" ان الخلافات الماضية كانت مفتعلة وليست واقعية ، وكان يدبرها الاستعمار ، بل العراق نفسه كان فيما مضى قبل الثورة[14] قد تعرض لها ، ولا يمكن القول بأن هناك صنفان في الجامعة سيد ومسود ، إلا إذا اعتبرنا ان رواد القومية العربية وباعثي نهضتها هم سادة ، وحينئذ يتحتم علينا ان نكون جميعاً في صفهم " [15].

واستنكر رئيس الوفد المغربي عبد الخالق الطريسي[16]الموقف التونسي وأبدى أسفه لما قاله رئيس وفدهم ، وأعلن بوصفه ممثلاً للمغرب ، أن دولته وهي إحدى دول المغرب العربي تشيد بفضل الجمهورية العربية المتحدة على تلك الدول ، وكذلك بفضلها على جامعة الدول العربية ، مضيفاً "ان الجامعة إذا لم تكن قد نهضت بمسؤوليتها في الماضي ، فلم يكن مرجع ذلك إلى نية هيمنة أو سيطرة بل إلى وجود النفوذ الأجنبي "، مؤكداً أنه أعلن ذلك حتى لا يفهم أن حكومته متضامنة مع وفد تونس في هذا الموضوع ، أو أن هناك اتفاقاً أو تآمراً بين بعض الوفود لإثارة هذا الجو[17] .

وفي هذا الإطار صرح أسعد الفقيه رئيس مجلس جامعة الدول العربية ورئيس الوفد السعودي قائلاً:" إن وفد حكومة تونس خالف ميثاق الجامعة بمهاجمته دولة شقيقة يقدر لها موقفها وتضحياتها وغيرتها على مصالح العرب وكان من اللائق ان يترفع في جلسة علنية ويتبع الطريقة اللائقة فيقدم شكوى إلى المجلس ، إذا كانت عنده وقائع صحيحة"[18].

وعلى الرغم من هذا كله أصر مندوب تونس على الاستمرار في اتهاماته ومهاتراته في جلسة علنية لولا أن منعه رئيس مجلس الجامعة أسعد الفقيه من الاستمرار في الإدلاء بمثل هذه الأقوال ، ووافق المجلس على هذا المنع ، وعند ذلك انفض اجتماع المجلس [19].

وفي الثاني عشر من تشرين الأول عام1958 عقد الحبيب الشطي مؤتمراً صحفياً ألقى فيه بيانين[20].

أولهما: مقاطعة جلسات الدورة الحالية لجامعة الدول العربية بدعوى أن العلاقات متوترة بين تونس والجمهورية العربية المتحدة إلى حد أصبح معه من المستحيل التعاون داخل الجامعة ،إذ لايمكن لنا أن نفيد أو نستفيد من العمل في مثل هذا الجو الخالي من الثقة المتبادلة.

أما البيان الآخر فقد تضمن النقاط الآتية:

1- إن الحكومة التونسية ترى لزاماً عليها أن تميط اللثام عن الأسباب التي تجعل قيامها بدورها داخل جامعة الدول العربية أمراً مستحيلاً ، فقد ساءت العلاقة بين الحكومة التونسية ومصر ثم حكومة الجمهورية العربية المتحدة إلى حد أصبح التعاون معه بين الحكومتين غير ممكن، فتونس انعدمت ثقتها بالجمهورية العربية المتحدة [21]،وإن هذا الخلاف يرجع أصله إلى سبب جوهري واحد هو تدخل الجمهورية العربية المتحدة في الشؤون التونسية البحتة باحتضانها رجلاً مجرماً يدعى صالح بن يوسف[22] ،أثار فتنة داخلية في تونس وحكمت عليه المحكمة الشعبية العليا في تونس بالإعدام.

2- إن حكومة القاهرة أوضحت أن صالح بن يوسف لاجئ سياسي ،وأن له عليها حق الحماية والرعاية ، وأن دستورها لا يسمح لها بإخراجه من ترابها، وأنها حرّمت عليه كل نشاط سياسي عملاً بما تقتضيه القوانين في هذا الصدد.

3- إنّ الحكومة التونسية تعد هذه الذرائع تعليلات غير مجدية ،ولا ترى مبرراً لاحتضان حكومة القاهرة رجلاً اتضح أنه عميل، وأنه "مجرم" ،وأنه مدبر "مؤامرات".

وقد أوضحت جريدة الأهرام في هذا البيان العنيف أن الموضوع لا يبرر أبداً لبورقيبة أن يتصرف على النحو الذي تصرف به، ذلك أن ملابسات هذا الموضوع هي كما يلي[23]:

1- كان صالح بن يوسف الرجل الثاني في الحزب الحر الدستوري[24] ،الذي يرأسه بورقيبة ،وكان ساعده الأيمن، وأقرب المقربين إليه.
2- كان بورقيبة نفسه لاجئاً سياسياً في مصر أيام كان الاستعمار الفرنسي يطارده ، وكان صالح بن يوسف لاجئاً معه في مصر وقتها.
3- بعد أن وصل بورقيبة إلى الحكم ، وغادر منفاه في مصر ، اختلف معه صالح بن يوسف واشتد الخلاف بينهما إلى حد أن صدر على صالح بن يوسف حكم الإعدام من محكمة شعبية شكلها بورقيبة في تونس ، وبذلك كان على صالح بن يوسف حكمان بالإعدام واحد من فرنسا ، والآخر من بورقيبة .
4- هذه الظروف كلها لا تعني حكومة القاهرة ، لأنها مسألة داخلية تونسية ، ولكن صالح بن يوسف ، كان في مصر منذ لجأ إليها مع بورقيبة نفسه وواصل إقامته في مصر ، متمتعاً بحق الالتجاء السياسي الذي أسبغ عليه وعلى بورقيبة في الوقت نفسه.
5- طلبت حكومة بورقيبة من حكومة القاهرة أن تلقي القبض على صالح بن يوسف وتسلمه إليها ، لتنفذ فيه حكم الإعدام.
6- ردت حكومة القاهرة بقولها ، وقد اعترف البيان الذي أذاعه مندوب تونس بهذا الذي قالته القاهرة ، أن صالح بن يوسف يعيش في مصر بوصفه لاجئاً سياسياً، وأن الدستور لا يسمح بإخراجه ، وأنها رعاية للرئيس بورقيبة حرّمت على صالح بن يوسف أن يقوم في مصر بأي نشاط سياسي معاد لبورقيبة.

وعلى أثر ذلك غادر الحبيب الشطي رئيس وفد تونس القاهرة في الساعة التاسعة وعشر دقائق من صباح الثالث عشر من تشرين الأول عام1958 متوجهاً إلى بلاده على الرغم من أنه يعلم أن مجلس الجامعة سيعقد اجتماعاً آخر ، لكنه لم ينتظر نتيجة هذه الاجتماعات لأن مهمته كانت تنحصر في بيان موقف الحكومة التونسية من جامعة الدول العربية، الأمر الذي أدهش جميع الوفود العربية [25].

يتضح لنا من مغادرة مندوب تونس المفاجئة ،مدى اللامبالاة التي تعامل بها الحبيب الشطي مع هذا الاجتماع ويعّد دليل واضح يكشف عن الخطة التي دبرها بورقيبة للنيل من الجمهورية العربية المتحدة ، ومن ثم فان العلاقات بينهما كانت تمر بسحابة كثيفة من الخلافات كان لها أثرها في حدوث هذه الأزمة .

وفي الثالث عشر من تشرين الأول عام 1958 عقد مجلس جامعة الدول العربية جلسة طارئة علنية لوفود الدول العربية الحاضرة من الأردن والسعودية والعراق والسودان وليبيا واليمن والمغرب ولبنان[26] ،كما حضرها جميع مندوبي الصحف ووكالات الأنباء،إذ بدأ رؤساء الوفود بالكلام، وكان أول المتحدثين في هذه الجلسة هو يوسف مصطفى الفقي رئيس وفد السودان إذ قال:" إننا لا نقر أبداً مسلك وفد تونس في تلك الجلسة" ، موضحاً الأسباب التي تعزز موقف السودان ،التي تتلخص فيمايلي[27]:

أولاً:كانت الجلسة للترحاب بتونس ، وجلسات الترحاب هي جلسات أفراح ، يتراشق الناس فيها بالزهور والكلمات الطيبة لا بالحجارة والاتهامات .

ثانياً: كانت الجلسة علنية وكان في استطاعة مندوب تونس أن يكتفي بالكلام الذي يقال عادة في مثل هذه المناسبات بدلاً من أن يوجه كلاماً قاسياً إلى دولة هي شقيقتنا الكبرى لها علينا حق الاحترام والاعتراف بالجميل.

ثالثاً: كان استطراده تقديم شكوى ،ومن حق أية دولة منا أن تشكو أية واحدة من شقيقاتها إلى مجلس الجامعة ، ولكن ليس في جلسة علنية قبل استيفاء الإجراءات التي تحتمها لوائح الجامعة ، وأولها طلب إدراج الشكوى في جدول الأعمال ، وأهمها ان تدرس الشكوى في جلسة سرية لا يحضرها غير أفراد العائلة العربية ومندوبيها الرسميين .

رابعاً: إن وفد تونس في مذكرته المرفقة بخطابه يشترط على الجامعة أن تحكم لصالح تونس في النزاع الذي بينها وبين الجمهورية العربية المتحدة، وإلا فإن وفد تونس سينسحب من حضور جلسات هذه الدورة ، وهذا الشرط يتنافى مع حقيقة وضع مجلس الجامعة ومع المعقول .

مؤكداً أن مثل هذه الأزمات قد تحدث في داخل الأسرة الواحدة ،ولهذا " يجب علينا أن لا نيأس وأن نظل على ثقتنا بجامعتنا العتيدة ، كما يجب أن نسعى لا قناع تونس بالعدول عن قرارهم بعدم الاشتراك في هذه الدورة ، فكلنا أخوة وعلى كل منا أن يتسامح مع إخوانه الآخرين ، كما يجب أن نقوم بالمسعى نفسه لا قناع الجمهورية العربية المتحدة بالعودة لحضور الجلسات ، فجامعة الدول العربية ، من دون الجمهورية العربية المتحدة ، ناقصة نقصاً كبيراً ، نحن ننزه الجمهورية العربية المتحدة أن تكون سبباً فيه "[28].

وتحدث بعدها رئيس وفد الجمهورية العراقية فائق السامرائي قائلاً: " إن ما ذكره رئيس وفد الجمهورية التونسية ، وما تلا ذلك ، جعلني اعتقد أن هناك خطة مدبرة" ، مضيفاً "أن الخلاف الذي قيل إنه نشأ بين الجمهورية العربية المتحدة وبين تونس ، كان خلافاً غير جديد، وكانت تونس تعلمه قبل انضمامها ، فلماذا انضمت أذن إلى الجامعة قبل أن يحل هذا الخلاف؟ ،وفي ختام كلمته تقدم باقتراح يرمي إلى استبعاد كل ما جاء في خطاب وفد تونس ، مما فيه مساس بجامعة الدول العربية أو بأية دولة عضو فيها [29].

وفي الجلسة نفسها تحدث رئيس الوفد اليمني علي المؤيد وذكر أن الخطاب الذي ألقاه مندوب تونس في الجلسة التي خصصت لاستقباله غير مألوف في الجامعة ،ولا في المنظمات الإقليمية أو الدولية ، مضيفاً"وهو تغيير جوهري في مقاصد الجامعة وأغراضها مما يجعلنا نقطع بان الأمر كان مبيتاً "، موضحاً أن الجامعة صحيح ذات اتجاه واحد ،وهو اتجاه القومية العربية ، وأن قرارات الجامعة لا تلزم إلا من يقبلها ،" فكيف تأتمر بأمر عضو واحد ؟" ، مبيناً أن الأمور التي أثارها الخطاب ليس محلها الجامعة ، وأن مندوب تونس أراد أن يجعل من الجامعة منبراً للدعاية والتشهير ، الأمر الذي لا تعرفه جامعة الدول العربية ،مقترحاً أن يتخذ المجلس قراراً يلوم تونس ، ويرفض الاتهامات التي تضمنها الخطاب[30].

أما رئيس وفد المملكة الليبية المتحدة سليم الجربى فقد بين أن تونس خرجت على العرف والتقاليد ، إذ كان على مندوب تونس إذا أراد أن يشكو عضواً في الجامعة أن يتقدم بشكوى، وأن يتبع الإجراءات والتقاليد المرعية، ولا يصح أن يتناول الموضوع بهذه الصورة ،بأن يمس الجامعة وأحد أعضائها، لذلك أعرب عن عدم إقراره لتصرف وفد الجمهورية التونسية وعن أسفه[31].

بعده تحدث علي سيد الكردى رئيس الوفد الأردني مشيراً إلى" أن الجلسة العلنية لمجلس جامعة الدول العربية ، التي تقرر أن تكون لاستقبال الوفد التونسي ، كان يجب أن تقتصر على كلمات

الترحيب التي تلقى في مثل هذه المناسبات "، وعبر عن أسفه للعبارات الجارحة التي سببت حدوث الأزمة في مجلس الجامعة ، مطالباً ببذل الجهود لاستبعاد العبارات التي كانت سبباً في حدوث الأزمة من البيان التونسي ، كي تعود الأمور إلى مجاريها الطبيعية وتسود جامعة الدول العربية روح التعاون التي سادتها منذ إنشائها [32].

وكرر عبد الخالق الطريسي رئيس وفد المغرب مع بقية الدول الأعضاء إدانة موقف الوفد التونسي معلناً أنه لا يمكنه ان يؤيد مندوب الجمهورية التونسية ، أو أن يتضامن معه في الموقف الذي وقفه وفدها في تلك الجلسة وذلك لسببين هما [33]:

الأول: للدفاع عن الجامعة العربية ، ولتقدير كل دولة من الدول الموجودة في هذه الجامعة ، فإذا مُسَّ عضو في هذه الجامعة فإننا جميعاً نمس بالسوء والأذى ، وقد كان خطاب رئيس الوفد التونسي شديداً في تهجمه على الجمهورية العربية المتحدة.

الآخر : إن كثيراً من الناس كانوا يعتقدون أن تعقيب رئيس وفد المغرب على خطاب رئيس الوفد التونسي سيكون إعلاناً للتضامن معه ، أو مؤازرة له في خطابه ، و أعلن في تلك الجلسة العلنية ، أن رئيس الوفد التونسي زارني في سفارة المغرب ليلة الاجتماع ، ليأخذ رأيي في موضوع الخلاف الموجود بين الجمهورية العربية المتحدة وبين تونس ، وأني آسف جداً أن يكون إعلاني عن هذا في غياب رئيس وفد الجمهورية التونسية ، لأنني كنت أود أن يسمع كل هذا ، ولكنه انسحب من جلسات دورة جامعة الدول العربية ،فأنا مضطر لإعلان تلك الحقائق ، حتى تتضح الأمور وتوضع في نصابها ، لقد نصحته إلا يربط بين انضمام تونس إلى جامعة الدول العربية ، والخلاف بينها وبين الجمهورية العربية المتحدة ، ونصحته بأن لا يثير الموضوع في الدورة الحالية ، لأنني اعتقد أنه ليس من اللائق أن تكون باكورة أعمال الوفد التونسي في جامعة الدول العربية تقديم شكوى ضد الجمهورية العربية المتحدة أو إثارة الخلاف بينهما ، وأن الخلاف يمكن أن يعالج بين الطرفين ، وإذا لم يحصل ذلك فإن بعض الوفود العربية يمكن أن تتدخل في هذا الموضوع لتصفية الجو بين الدولتين ، وإعادة المياه إلى مجاريها . مضيفاً" وكم يؤسفني ،انه على الرغم من الاتفاقية الدبلوماسية المبرمة بين المملكة المغربية وبين الجمهورية التونسية ، التي تقضي بالتشاور الدائم المستمر بينهما ، إلا يطلعني رئيس الوفد التونسي ، على الخطاب الذي كان ينوي إلقاءه ، ولو انه فعل ذلك لنصحته بالامتناع عنه" ،موضحاً أن الوفد المغربي يعلن أسفه لما وقع ، مقترحاً على الرئاسة بذل ما في وسعها لكي يعود وفد الجمهورية العربية المتحدة إلى أعماله بالجامعة مكرماً ، مكرراً هذا الرجاء على الرئاسة وعلى سائر الوفود، مؤكداً ولاءه لجامعة الدول العربية ولميثاقها ، وتقديره ومحبته لسائر وفود البلاد العربية ، لاسيما للوفد الذي انسحب من الجلسة السابقة ، مطالباً بعودته في أقرب وقت ممكن ، لأن الإساءة إليه لم تكن في محلها ، بل كانت ظلماً واعتداءً لا يبرره مبرر [34].

كما عبر أسعد الفقيه رئيس وفد المملكة العربية السعودية عن شديد أسفه واستنكاره لما حدث في تلك الجلسة العلنية ، وعده ماساً ليس بالجمهورية العربية المتحدة فحسب ، بل بسائر الدول العربية وكذلك بالجامعة نفسها، وعدَ ما أدلى به رئيس وفد الجمهورية التونسية عملاً لا يجوز صدوره من وفد دولة شقيقة ، مضيفاً" وكنا نأمل إلا تفوت الفرصة التي أتيحت لرئيس وفد الجمهورية التونسية لكي يصحح موقفه ، ولكي يعتذر عن تصرفه ، وان يساعدنا في محاولة جمع الشمل والكلمة وتصفية الجو ، ولكنه لم يفعل بل اندفع في اتجاه معاكس لما كنا نأمله منه" ، مقترحاً موافقة المجلس على قرار استبعاد جميع ما ورد في خطاب رئيس وفد تونس وتعقيبه من ألفاظ وعبارات تعد ماسة بجامعة الدول

العربية ، أو بأي عضو من أعضائها ، ودعوة وفد الجمهورية العربية المتحدة إلى العودة لاستئناف اشتراكه في أعمال جامعة الدول العربية [35].

كما أبدى غلاب ترك رئيس وفد لبنان أسفه للجو الذي ساد اجتماعات جامعة الدول العربية بسبب الخطاب الذي ألقاه رئيس الوفد التونسي في جلسة كانت مخصصة للترحيب ببلده ،إذ لم يكن فيه منصفاً بحق الجامعة نفسها ، ولا ببعض أعضائها ، وكذلك بسبب البيان الذي هاجم فيه الجمهورية العربية المتحدة صاحبة الفضل ، عادّاً أن ما ذكر في الخطاب ، وما جاء في البيان ، لم يكن في محله ، ولم يكن مناسباً بل كان خروجاً على التقاليد والعرف ، مضيفا:" وإذا كانت من مشاكل خاصة بيننا ، فالأجدر بنا أن نعمل على حلها بما نمتلك من وسائل حل المشاكل بين الأشقاء بالطرق الأصولية "، راجياً أن ينظر المجلس باتخاذ قرار بشطب الفقرات من الخطاب التي فيها مساس بالجمهورية العربية المتحدة ، وبشطب الردود عليها كافة ، وأن يعّد البيان الموزع في الجلسة السابقة كأنه لم يكن ، وعن اعتباره وثيقة من وثائق الجامعة " في سبيل عودة روح الأخوة والصفاء بيننا " منهيا كلمته بقوله:" ولنا كل الأمل والرجاء بأن يعود الوئام بين الأشقاء ، وأن تعود الشقيقتان العزيزتان الجمهورية العربية المتحدة وتونس إلى احتلال مقعديهما في هذه القاعة بكل تكريم واحترام "[36].

وعقب انتهاء الجلسة صدر قرار رسمي من ثمان دول عربية –لم تشترك فيه الجمهورية العربية المتحدة وتونس – ونص القرار على ماياتي[37]:

أولاً:" يقر المجلس تصرف الرئاسة في منع رئيس وفد الجمهورية التونسية من الاسترسال في إلقاء بيانه الثاني ويعرب عن الشكر للسيد الرئيس على هذا الموقف الحكيم الذي أدى إلى تفادي توسيع شقة الخلاف .

ثانياً: يستنكر المجلس ويرفض كل ما جاء في خطاب رئيس وفد الجمهورية التونسية مما فيه من مساس بجامعة الدول العربية أو تعريض بدولة من أعضائها ويعتبر الخطاب الثاني الذي اخذ رئيس الوفد التونسي في إلقائه كأنه لم يكن ، كما يستبعد من وثائق المجلس ما وزع على الأعضاء بناء على طلب رئيس الوفد التونسي من بيانات ألقاها في مؤتمر صحفي عقده مساء يوم 11 تشرين الأول عام 1958 .

ثالثاً: يرجو أن تقوم رئاسة المجلس والأمانة العامة بالاتصال برئيس وفد الجمهورية العربية المتحدة لإبلاغه هذا القرار وما تم في هذه الجلسة ، مع دعوة وفد الجمهورية العربية المتحدة إلى استئناف مشاركته في جلسات المجلس وأعماله".

نستنتج مما تقدم أن مجلس جامعة الدول العربية قرر بإجماع الدول الأعضاء المشاركة في الاجتماع اعتبار ما قاله رئيس الوفد التونسي كأنه لم يكن ،وأن الدول العربية كلها أبدت رأيها رسمياً باستنكارها تهجم الحكومة التونسية لأنه كان يدل على أنه يريد مسبقاً أن يثير في تلك الجلسة ذلك الخلاف ، كما طلبت الدول المشاركة في تلك الجلسة أيضاً بالإجماع عودة وفد الجمهورية العربية المتحدة إلى اجتماعات مجلس الجامعة،ولم توجه الدعوة للوفد التونسي.

إذ توجه أسعد الفقيه رئيس مجلس جامعة الدول العربية ، وعبد الخالق حسونة[38] الأمين العام للجامعة إلى وزارة الخارجية واجتمعا مع عبد الحميد غالب رئيس وفد الجمهورية العربية المتحدة وأبلغاه رسمياً قرار مجلس الجامعة بالإجماع استنكار موقف تونس وشطب كلام مندوبها، مع دعوة الجمهورية العربية المتحدة إلى المشاركة في اجتماعات المجلس ، ولم توجه الدعوة للوفد التونسي[39]، وفي هذا الإطار يمكن أن نعد قرار مجلس جامعة الدول العربية بالتنديد بموقف رئيس

الوفد التونسي انتصاراً دبلوماسياً أحرزته الجمهورية العربية المتحدة ، وفيه دلالة على سيطرتها على آراء الأعضاء، لأنها هي التي تحرك سياسة الجامعة.

وعلى أثر ذلك أعلنت تونس انسحابها من جامعة الدول العربية وعدم الاشتراك في اجتماعاتها إلا بعد إزالة الخلاف الواقع بينها وبين الجمهورية العربية المتحدة [40]، وبعد جلستين أصدر مجلس الجامعة قراراً بدعوة وفد تونس لاستئناف المشاركة في أعمال المجلس بعد تمسك كل من السودان والمغرب بضرورة دعوة تونس حتى لا يتهم المجلس بمحاباة أحد الأعضاء، إذ امتنعت الجمهورية العربية المتحدة عن التصويت على هذا القرار[41].

وعلى الرغم من ذلك قررت تونس قطع علاقاتها الدبلوماسية بالجمهورية العربية المتحدة في الخامس عشر من تشرين الأول عام 1958 ،إذ أبلغ وزير الدولة التونسي للشؤون الخارجية الصادق المقدم سفير الجمهورية العربية المتحدة في تونس مصطفى فهمي قرار الحكومة التونسية بقطع العلاقات الدبلوماسية بين البلدين[42].

وهذا يعني أن بورقيبة تحدى جامعة الدول العربية من خلال تمسكه بالكلام الذي كلف به رئيس الوفد التونسي في مجلس الجامعة سواء كان ذلك يمس الجامعة أم أحد أعضائها ، كما يدل ذلك على عدم اعترافه بأي قرار يصدره مجلسها لأنها قررت عدم الاشتراك في أية اجتماعات إلا بعد إزالة الخلاف الواقع بين تونس والجمهورية العربية المتحدة، كما يدل أيضاً على مدى الخلافات السياسية التي كانت تعصف بالجامعة.

الخاتمة

بعد دراسة موقف جامعة الدول العربية من تأزم العلاقات السياسية المصرية – التونسية في الحادي عشر من تشرين الأول عام 1958 ، ومعرفة مواقفها وآراء أعضائها تم التوصل إلى جملة من الاستنتاجات :

1- أعلن بورقيبة عن انضمام تونس إلى جامعة الدول العربية ولم يمض يوم واحد على هذا الإعلان حتى قرر الخروج من الجامعة احتجاجاً على خضوعها لسياسة الجمهورية العربية المتحدة.

2- اعتقدت تونس بانضمامها إلى جامعة الدول العربية أنها سوف تنهي موضوع صالح بن يوسف، ولكنه ثبت عكس ذلك ، فقد رفضت الجمهورية العربية المتحدة أن تسلم صالح بن يوسف إلى بورقيبة.

3- كانت حادثة مندوب تونس في جامعة الدول العربية فرصة لبورقيبة للتشهير بالقاهرة ، مما أدى إلى ازدياد حدة الخلاف بين البلدين ، ومن ثم قطع العلاقات الدبلوماسية بينهما.

4- كان لهذه الأزمة رد فعل سريع داخل جامعة الدول العربية ، إذ واصل رؤساء وفود الدول العربية مشاوراتهم فيما يخص الأزمة التي أثارها مندوب الحكومة التونسية ، فعقدوا اجتماعاً وتخلف عن الحضور عبد الحميد غالب مندوب الجمهورية العربية المتحدة والحبيب الشطي رئيس الوفد التونسي.

5- تناول رؤساء الوفود بحث الموقف والبيانات والتصريحات التي أدلى بها رئيس الوفد التونسي علانية مهاجماً الجمهورية العربية المتحدة ، وكان الاستياء عاماً بينهم لموقفه المخالف للعرف والتقاليد الدبلوماسية ، فضلاً عن أنها أول مرة في تاريخ جامعة الدول العربية يهاجم فيها مندوب إحدى الدول دولة شقيقة في أول جلسة علنية للترحيب بها.

هوامش البحث

(1) تأسست جامعة الدول العربية في 22 آذار عام 1945 إذ وقع على ميثاقها سبع دول عربية ، هي : العراق وسورية والأردن والسعودية ولبنان ومصر واليمن. للتفاصيل ، ينظر: عبد الله كاظم عبد الدلفي، دور العراق السياسي في جامعة الدول العربية 1945-1958، عمان ، 2007.

(2) أوفدت تونس في تشرين الأول عام 1958 الحبيب الشطي سفيرها في لبنان على رأس وفد مكون من سليم بن غازي مدير قسم الشرق بكتابة الدولة للشؤون الخارجية ، وصلاح الدين عبد الله القائم بأعمال السفير التونسي في القاهرة للمشاركة في اجتماعات مجلس جامعة الدول العربية، وكلف بإثارة قضية التدخل المصري في شؤون تونس. ينظر : د.ك.و ، ملفات مجلس السيادة ، رقم الملف 290 / 411 ، تقارير سفارة الجمهورية العراقية في تونس 1958- 1962، م / الوفد التونسي لدى مجلس الجامعة العربية واستمرار توتر العلاقات بين تونس ومصر، و84 ، ص202.

(3) للتفاصيل عن انضمام تونس لجامعة الدول العربية ، ينظر : فاطمة فالح جاسم الخفاجي،العلاقات السياسية المصرية- التونسية(1956-1970) دراسة تاريخية،أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة ذي قار ، 2016، ص109.

(4) الحبيب الشطي: سياسي تونسي ، ولد عام 1916، تلقى تعليمه في مدرسة الصادقية في تونس ، عمل في حقل الصحافة (1937-1952) ، اعتقلته السلطات الفرنسية خلال الأعوام (1950و1952 و1953) بسبب اتجاهاته الوطنية ، وترأس قسم الإعلام في رئاسة مجلس الوزراء (1954-1955) ، كان عضو المجلس الوطني للحزب الدستوري الجديد عام 1955، ومدير صحيفة العمل الناطقة باسم الحزب عام 1956 ، ونائب رئيس الجمعية الوطنية التونسية في العام نفسه، شغل بعد ذلك منصب سفير لبلاده في كل من لبنان والعراق(1957-1959) ، توفي عام 1991 . للتفاصيل ، ينظر: عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسية، ج2،ط4، بيروت،2001 ، ص 158 ؛ https://ar.wikipedia.org

(5)الحبيب بورقيبة: سياسي تونسي ، ولد في مدينة المنستير في الثالث من آب عام 1903، تلقى تعليمه في تونس وفرنسا، أسس الحزب الحر الدستوري الجديد عام 1934، تم اعتقاله مرات متعددة بسبب نضاله من أجل استقلال تونس، أصبح رئيساً لمجلس الوزراء في نيسان عام 1956 ، وفي عام 1957 انتخب رئيساً للجمهورية ، وبقي في منصبه إلى عام 1987 ، توفي في السادس من نيسان عام 2000. للتفاصيل ، ينظر: حسن زغير حزيم ، الحبيب بورقيبة ودوره السياسي (1933-1987) دراسة تاريخية، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب، جامعة بغداد، 2003.

(6)جريدة الأهرام ، القاهرة ، العدد 26236، 12 تشرين الأول 1958 .

(7) المصدر نفسه.

(8) المصدر نفسه.

(9)المصدر نفسه.

(10) كتابة الدولة للشؤون الخارجية ، كتاب أبيض في الخلاف بين الجمهورية التونسية والجمهورية العربية المتحدة، تونس ، 1958، ص5.

(11) جريدة الأهرام ، العدد 26236، 12 تشرين الأول 1958 .وللتفاصيل عن طبيعة العلاقة بين عبد الناصر وبورقيبة ولمعرفة المبررات التي دفعت تونس لاتخاذ هذا الموقف ، ينظر : فاطمة فالح جاسم الخفاجي،المصدر السابق.

(12) فائق السامرائي: سياسي عراقي ، ولِدَ في مدينة العمارة مركز محافظة ميسان عام 1908 وسط عائلة من الطبقة الوسطى ، أكملَ تعليمه حتى تخرّج من كلية الحقوق عام 1933 وعمل محامياً ، وأصبح نائباً في مجلس النواب العراقي لأكثر من دورة ، وبعد أن تأسس حزب الاستقلال في العراق عام 1946 أصبح أميناً له، كان سفير العراق لدى الجمهورية العربية المتحدة بعد ثورة 14 تموز 1958 ، توفي عام 1979. للتفاصيل ، ينظر: أمنية داخل شلش التميمي, فائق السامرائي ودوره السياسي في العراق 1908 – 1979، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ،جامعة بغداد، 2000.

(13) جريدة الأهرام ، القاهرة ، العدد 26236، 12 تشرين الأول 1958 .

(14) يقصد قبل ثورة 14 تموز 1958 .

(15)جريدة الأهرام ، العدد 26236، 12 تشرين الأول 1958 .

(16)عبد الخالق الطريسي: ولد في مدينة تطوان في السادس والعشرين من آيار عام 1910 ، درس التعليم الابتدائي والثانوي والتحق عام 1925 بصفوف المدرسة الأهلية، ثم انتقل إلى فاس لمتابعة دراسته بالقرويين، وبعدها سافر إلى القاهرة، ثم انتقل إلى فرنسا من أجل الدراسة في السوربون، أسس حزب الإصلاح الوطني عام 1936، شارك في تأسيس لجنة تحرير المغرب العربي بالقاهرة، عين سفيراً للمغرب بعد الاستقلال بمدريد، ثم سفيراً بالقاهرة مرتين، وعين عام 1960 وزيراً للعدل، وفي عام 1963 انتخب عضواً في البرلمان المغربي، توفي في السادس والعشرين من آيار عام 1970.للتفاصيل، ينظر:https://ar.wikipedia.org

(17) جريدة الأهرام ، العدد 26236، 12 تشرين الأول 1958 .

(18) جريدة الأهرام ، العدد 26237، 13 تشرين الأول 1958 .

(19)المصدر نفسه.

(20) المصدر نفسه .

(21) كتابة الدولة للشؤون الخارجية ، كتاب أبيض في الخلاف بين الجمهورية التونسية والجمهورية العربية المتحدة.

(22)صالح بن يوسف: سياسي تونسي، ولد في تونس في الحادي عشر من تشرين الأول عام 1907، أنهى دراسته الابتدائية فيها عام 1922، ثم واصل تعليمه فالتحق بالمعهد الفرنسي في تونس عام 1923 لإكمال دراسته الثانوية، ودرس الحقوق بفرنسا، أصبح الأمين العام للحزب الحر الدستوري الجديد عام 1934، كما تسلم وزارة العدل ممثلاً للحزب عام 1951، ولما عُقدت اتفاقيات الاستقلال الداخلي في حزيران عام 1955 اختلف مع الحبيب بورقيبة فلجأ إلى القاهرة, ثم إلى ألمانيا إذ اغتيل في مدينة فرانكفورت في الحادي عشر من آب عام 1961. للتفاصيل، ينظر: نعمة بحر فياض نمر الحمداني، صالح بن يوسف ودوره السياسي في تونس 1934-1961، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة تكريت، 2012.

(23)جريدة الأهرام ، العدد 26237، 13 تشرين الأول 1958 .

(24)الحزب الحر الدستوري الجديد: أسسه الحبيب بورقيبة مع مجموعة من الشباب التونسيين أبرزهم محمد الماطري على أثر انعقاد مؤتمر قصر هلال في الثاني من آذار عام 1934، وقد سمي بهذا الاسم تمييزاً عن الحزب الدستوري الذي أسسه عبد العزيز الثعالبي في شباط عام 1920 الذين انشقوا عنه بسبب الاختلاف في الأفكار والمبادئ في البرنامج السياسي للحزب الحر الدستوري

التونسي. للتفاصيل ، ينظر: قاسم زغير كاظم ، الحزب الحر الدستوري التونسي الجديد دوره السياسي في تونس بين عامي 1934-1956، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة البصرة،1984.

(25) جريدة الأهرام ، العدد 26237، 13 تشرين الأول 1958 .

(26) جريدة الأهرام ، العدد 26238، 14 تشرين الأول 1958 .

(27) المصدر نفسه .

(28)المصدر نفسه.

(29) المصدر نفسه .

(30)المصدر نفسه.

(31)المصدر نفسه .

(32)المصدر نفسه .

(33)المصدر نفسه .

(34)المصدر نفسه.

(35)المصدر نفسه .

(36)المصدر نفسه .

(37)المصدر نفسه .

(38) عبد الخالق حسونة: سياسي مصري، ولد في القاهرة في الثامن والعشرين من تشرين الأول عام 1898،شغل مناصب حكومية متعددة في مصر، كان من بينها محافظاً لمدينة الإسكندرية عام 1946، ثم وزيراً للشؤون الاجتماعية عام 1949، ووزيراً للمعارف ثم وزيراً للخارجية عام 1952، وفي العام نفسه خلف عبد الرحمن عزام في منصب الأمين العام لجامعة الدول العربية واستمر في منصبه هذا حتى عام 1972، توفي في العشرين من كانون الثاني عام 1992 . ينظر: عبد الوهاب الكيالي ، موسوعة السياسة، ج3، ط2، بيروت،1993،ص814 ؛ http://ar.wikipedia.org

(39) جريدة الأهرام ، العدد 26238، 14 تشرين الأول 1958.

(40)المصدر نفسه.

(41)جريدة العمل التونسية ، العدد 1943 ، 18 كانون الثاني 1962.

(42)جريدة الأهرام ، العدد 26240 ، 16 تشرين الأول 1958 .

قائمة المصادر

أولاً : الوثائق :

1- الوثائق غير المنشورة المحفوظة في دار الكتب والوثائق العراقية :

– ملفات البلاط الملكي :

1- د.ك.و ، ملفات مجلس السيادة ، رقم الملف 290 / 411 ، تقارير سفارة الجمهورية العراقية في تونس 1958- 1962، م / الوفد التونسي لدى مجلس الجامعة العربية واستمرار توتر العلاقات بين تونس ومصر، و84 ، ص202.

2- الوثائق المنشورة :

1- كتابة الدولة للشؤون الخارجية ، كتاب أبيض في الخلاف بين الجمهورية التونسية والجمهورية العربية المتحدة، تونس ، 1958.

ثانياً- الرسائل والأطاريح الجامعية:

1- أمنية داخل شلش التميمي, فائق السامرائي ودوره السياسي في العراق 1908 – 1979، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ،جامعة بغداد، 2000.

2- حسن زغير حزيم ، الحبيب بورقيبة ودوره السياسي (1933-1987) دراسة تاريخية، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب، جامعة بغداد، 2003.

3- فاطمة فالح جاسم الخفاجي،العلاقات السياسية المصرية- التونسية(1956-1970) دراسة تاريخية،أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة ذي قار ، 2016.

4- قاسم زغير كاظم ، الحزب الحر الدستوري التونسي الجديد دوره السياسي في تونس بين عامي 1934-1956، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة البصرة،1984.

5- نعمة بحر فياض نمر الحمداني، صالح بن يوسف ودوره السياسي في تونس 1934-1961، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة تكريت، 2012.

ثالثاً: الكتب :

1- عبد الله كاظم عبد الدلفي، دور العراق السياسي في جامعة الدول العربية 1945-1958، عمان ، 2007.

رابعاً: الصحف:

1- جريدة الأهرام ، القاهرة ، العدد 26236، 12 تشرين الأول 1958 .
2- جريدة الأهرام ، العدد 26237، 13 تشرين الأول 1958 .
3- جريدة الأهرام ، العدد 26238، 14 تشرين الأول 1958.
4- جريدة الأهرام ، العدد 26240 ، 16 تشرين الأول 1958.
5- جريدة العمل التونسية ، العدد 1943 ، 18 كانون الثاني 1962.

خامساً:- الموسوعات والقواميس :

1- أحمد عطية الله ، القاموس السياسي ، ط3، القاهرة، 1968.
2- عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسية، ج2،ط4، بيروت،2001.
3- _____ ، موسوعة السياسة، ج3، ط2، بيروت،1993.

سادساً: شبكة المعلومات الدولية(الانترنيت):

(1). https://ar.wikipedia.org